ترتيب حروف الهجاء

بحث علمى تاريخى

للأستاذ حسن عبد الجواد المحامى

يقرأ المبتدئ حروفا يحفظها مرتبة عن ظهر قلب ترتيباً يلاحظ معه نغمة يرتاح إليها سمعه ، لأن الحروف قد كونت جماعات متشابهة أحرف كل منها ، فأذا بدأ ينطق حرفا تلاه حرف آخر أو أكثر لايختلف عنه كثيرا ، فأن هو قال (صاد) قال بعدها (ضاد) و إن قال (باء) أردفها (بتاء) ثم (ثاء) وهكذا حتى يقول (ياء) وإذا نحن ألقينا نظرة على لوح طفل صغير مبتدئ رأينا معلمه قد قسم له الأحرف الهجائية تقسيما يراعى معه هذا النظام ، فيكتب له فى اللوح الأول (ا . ب . ت . ث) وفى اللوح الثانى (ج . ح . خ) وفى اللوح الثالث (د ذ ر ز) وفى الرابع (س . ش . ص . ض) وهكذا حتى ينتهى إلي (ى)

ولكن هذا الترتيب الذى تألفه اليوم ، لم يكن هو بعينه الذى قام قديماً ، بل كان هناك ترتيب آخر لايزال قائماً بجانب الترتيب المألوف هو (أبجد . هوز . حطى . كلمن . سعفص . قرشت . ثخذ . ضظغ)

وهناك ترتيب ثالث راعى واضعوه مخارج الحروف وسنتكلم عليه تفصيلا مع الترتيبين السابقين : —

الترتيب الأول : — ترتيب أبجد هوز . . . الخ ، وعلينا قبل التكلم عن معنى هذه الألفاظ أن نذكر أنها خلقت (كما قال حفنى بك ناصف) فى عهد السريانيين والعبرانيين وغيرهم من الأمم الساميه

أما معنى هذه الألفاظ فمختلف فيه إلى حد كبير إذ قال جماعة - من بينهم هاشم الكلبي - إنها أسماء لأشخاص من العرب العاربة - محرفة قليلا ، وهم أبو جاد . وهواز ، وكلمون ، وسعفص ، وقريشات . وعلى أسمائهم وضعت الحروف الهجائية

ولكن لما كانت هناك حروف خارجة عن مجموع الحروف التى تكون تلك الأسماء ، لم يهمل العلماء أمرها ، بل جمعوها جماعة خاصة وسموها الروادف وهى (الثاء والخاء والذال ، والظاء ، والشين ، والغين

(صورة الأستاذ حسن عبد الجواد)

ولذلك نراهم قد حوروا فى الاسماء قليلا حتى جاءت مشتملة على حروف الروادف الستة ولذلك أصبحت (أبجد . هوز . حطى . كلمن . سعفص . قرشت . ثخذ . ضظغ) بدلا من (أبوجاد وهواز وكلمون وصعفص وقريشات)

وذكر بعضهم أن هذه الأسماء كانت لملوك هلكوا فى زمن شعيب عليه السلام واستدل بعضهم على صحة روايتهم بقصيدة رثائية قالتها أخت أحدهم وهو (كلمون) جاء فيها

(كلمون) هد ركنى هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الشـــحنف ثاو وسط ظله
جعلت نارا عليهـم وأراهم كالمضمحله

وأنكر علما العصر الحاضر أن هذه الألفاظ أسماء لأشخاص ولذلك نرى أستاذنا الكبير حفنى بك ناصف يقول إنها ألفاظ لم يقصد منها إلا جمع الحروف فى كلمات سهلة الحفظ وليست أسماء أشخاص كما قيل

وإنى أرى أن الظاهر يؤيده فى رأيه خصوصا وأن من قال بالرأى الآخر لم يدل بسند يصح أن يرتكز عليه ولو كان قولهم صحيحا لقالوا أبجد . . . . كلمون . . . . الخ بدلا من قولهم أبجد . . . . كلمن . . . . الخ

الترتيب الثانى : ـ تحرى فيه واضعوه ـ كما سلف قلناه ـ مخارج الحروف ابتداء من الصدر إلى الشفتين . (راجع تاريخ الأدب لحفنى بك ص ٣٥ وما بعدها)

وهـذا أساس صالح لترتيب الحروف وضعه ثلاثة من كبار العلماء هم الخليل (فى كتاب العين) وسيبويه وابن سيده (فى المحكم) وإن اختلف ترتيب كل من هؤلاء الثلاثة عن ترتيب زميليه إلا أن خلاصة ترتيباتهم هكذا :

(ا و ى . حروف المد ـ ء ه ع ح غ خ ق ك ج ش ى ض ل ر ن ط د ت ص س ز ظ ذ ث ف ب م و)

الترتيب الحديث . . . ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ى .

هو الترتيب الذى نألفه والذى اعتبره أصحاب الصحاح ، والقاموس ولسان العرب وجاء به نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر فى عهد عبد الملك بن مروان (يراجع انتشار الخط العربى ص ٢٤ وأساس ماجاء فيه فى كتاب حياة اللغة العربية ص ٣٧) .

جاء هـذا الترتيب جامعا الحروف المتشابهة معا ، فالباء بعدها تاء ثم ثاء والطاء بعدها ظاء والعين بعدها غين وهكذا كما سبق بيناه فى صدر هذا البحث

ولكنا إذا وفقنا البحث خرجت حروف من غير شريك كالألف مثلا إذاً لماذا هم جاءوا بها فى مكانها ؟ وهل لذلك من أساس ؟

عللوا الأمر بأسباب ما كانوا ليهملوا فيها فضل الترتيب الأول

السبب الأول : بدىء بالألف لأنها أول أحرف أبجد

السبب الثانى : الهاء أخرت للأتيان بها مع أحرف العلة لأنها تشبهها

السبب الثالث : الزاى وضعوها فى مكانها مع أحرف الصغير

السبب الرابع : الكاف واللام والميم والنون أتت متعاقبة لأنها أحرف (كلمن) الواردة فى الترتيب الأول

وإذا نحن قلنا لهم لماذا وضعتم جماعة الجيم والحاء والخاء قبل جماعة الدال والذال ؟ قالوا لأن الجماعة الأولى أولها جيم والثانية أولها دال والجيم قبل الدال فى أحرف أبجد .

أما ترى أنهم احترموا — إلى حد كبير — الترتيب الأول ؟

وأرى فى النهاية أن الترتيب الحالى هو وليد ظروف لا يعلمها أحد وأنه ترتيب تاريخى طبيعى ليس ليد زيد أو عمرو دخل فى أحكامه أو فضل فى وضعه وأختتم تلك الكلمة بملاحظة لها أهميتها

هى أنه ورد فى كتاب الله الكريم آية تجمع الحروف الهجائية من أولها الى آخرها وهى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الأنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما »

فأذا نحن فتشنا فى تلك الآية أخرجنا جميع الحروف الهجائية كاملة ولكنها غير مرتبة حسب أحد الترتيبات الثلاثة التى أوردناها .

وإنا لانعرف السر فى ذلك ولكنا نستنتج منها بلاغة عظيمة نشاهدها فى كل آية من آيات القرآن الكريم فتبارك الله أحكم الحاكمين ؟

حسن عبد الجواد